الفصل السابع

الدور التربوى لجماعة الرفاق فى مجال الوقاية من الجريمة من منظور إسلامى

- تمهيد .
- المبادئ الإسلامية التى يجب أن تقوم عليها الصحبة بين جماعة الرفاق .
- أولاً: البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين .
- ثانياً: أن يكون الحب بين الصديقين حباً فى الله .
- ثالثاً: ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفة سطحية .
- رابعاً: قيام الصداقة على التناصح .
- خامساً: النهى عن الهجر والخصام .
- سادساً: التعاون على فعل الخير والبعد عما حرم الله.
- صفات الصديق الصالح الذى لا يدعو إلى انحراف .
- كيفية تحقيق الدور الإسلامى لجماعة الرفاق على أرض الواقع .

الدور التربوي لجماعة الرفاق في مجال الوقاية من الجريمة من منظور إسلامي

تمهيد:

تعتبر جماعة الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على الشخصية، وقد تكون جماعة الرفاق متسقةً مع الإطار العام للمجتمع، وقد تكون منحرفةً عنه، وقد تلعب هذه الجماعات في فترات معينةٍ من حياة الفرد دوراً أكثر أهمية من دور الأسرة. واختيار الصديق يمكن أن يخلق الشخص أو يقضي عليه.(١)

فإذا كان الصديق صالحاً تقياً نافعاً ومؤثراً في مجتمعه أثر في صديقه تأثيراً إيجابياً، ونقل إليه بعضاً من هذه الصفات، وإذا كان الصديق منحرفاً أو مجرماً كان تأثيره سلبياً في شخصية صديقه، وزين له طرق الجريمة والانحراف.

وقد أوضحت نتائج بعض الدراسات الأثر السئ للصديق المنحرف على سلوك من يصاحب، فقد وجد "جيلوك" أن من بين ٥٠٠ طفل جانح-الذين قام بدراستهم - أن ٤٩٢ منهم يمثلون نسبة ٩٨,٤% لم ينحرفوا بمفردهم، وإنما انحرفوا بمساعدة آخرين من الرفاق المنحرفين.(٢)

وقد ذكر الدكتور "أنور الشرقاوي" في رفاق السوء ما يلي:(٣) "تمثل عصبة الرفاق وجماعات النواصي أجنةً تتطور إلى عصابات، وهي من أهم الوحدات الدراسية في بحوث الجريمة، وتتألف الجماعة أو العصبة من صبيةٍ يلتمسون في تجمعهم وزمالتهم عوضاً عن إهمال الوسط العائلي، وقسوة الفقر، والإهمال الشديد، أو القسوة الزائدة في المعاملة. وفي الوقت نفسه فإن الثلة أو العصابة التي تمثل بالنسبة لهم قوةً ومنعةً، تشبع حاجاتهم إلى الأمن وتأكيد الذات كما يشعرون بأن كلاً منهم مرتبط بالآخرين، وفي مغامراتهم يحقق الفرد منهم فرصة الشعور بقوة الأنا، والذي يساعد الأنا الجماعي للعصابة".

وعليه فجماعة الرفاق التي تمثل إحدى مؤسسات التربية غير الرسمية يمكن أن تصبح منبعاً للجريمة والانحراف، وذلك إذا ضلّ أفرادها وتحولت أهدافها من المساهمة في التربية إلى

---

(١) د.صلاح عبد المتعال، التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) د. محمد سلامة غباري، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) د. أنور محمد الشرقاوي، انحراف الأحداث، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

احتضان الجانحين وتفريخ المجرمين. وهذا ما أشار إليه الباحث في الفصل الثاني من هذه الدراسة حيث تبين أن رفاق السوء يمثلون أحد الأسباب المؤدية إلى الجريمة.

والسؤال الذي يسعى الباحث للإجابة عليه في الصفحات التالية هو:

ما الدور الإسلامي الذي يمكن أن تقوم به جماعة الرفاق في مجال الوقاية من الجريمة؟

وفي سبيل الإجابة على هذا السؤال، يُبرز الباحث مجموعةً من المبادئ الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها الصحبة بين مجموعة أفراد من المسلمين، بحيث يشكلون جماعة رفاق تنأى بأعضائها عن مجال الانحراف والجريمة.

أولاً: البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين:

يحذر الإسلام المسلمين من رفاق السوء، ويدعوهم إلى الابتعاد عنهم، والنفور منهم، وذلك لما لهؤلاء من خطرٍ على أخلاقيات وسلوكيات الفرد المسلم، فمصاحبة هؤلاء قد تؤدي بالفرد إلى الاقتداء بهم، وتقليد سلوكياتهم، وقد يقودونه إلى الانحراف وارتكاب الجرائم، وإذا كان الكفر أكبر الجرائم من وجهة النظر الإسلامية، فإن رفيق السوء قد يغري رفيقه بالكفر، وعدم الإيمان.

وقد حكى القرآن الكريم قصة الصديقين اللذين كان أحدهما مؤمناً والآخرُ كافراً، ومحاولة الصديق الكافر الإيقاع بصديقه المؤمن في دائرة الكفر. فقد قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥١-٥٧].

وجاء في تفسير هذه الآيات أن القرين هنا هو الصديق المشرك، فقد قال "العوفي" عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل المشرك يكون له صاحبٌ من أهل الإيمان في الدنيا، ومعنى قوله تعالى: (إن كِدت لَتُرْدِين) أي كدت لتهلكني لو أطعتك. (١)

وقال الله تعالى أيضاً في شأن قرناء السوء: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيَ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

---

(١) الإمام/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٨.

وجاء في تفسير هذه الآية أن المقصود بالقرناء هنا هم شياطين الإنس والجن الذين حسنوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلا محسنين.[١]

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان :٢٧-٢٩] .

فالخليل في هذه الآية هو صديق السوء الذي صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة[٢].

يتضح من الآيات السابقة تحذير الإسلام من رفاق السوء، ويُبنى هذا التحذير على أساس أن رفيق السوء يحض دائماً على فعل الآثام والذنوب ويزين هذه الأفعال إلى نفس صديقه حتى يراها حسنة، فيدعوه إلى شرب الخمر، ويدعوه إلى الزنا.... إلى غير ذلك من الجرائم، وعليه فإن الإسلام يحذر من رفيق السوء لأنه لا يدعو إلا إلى ضلالة.

ورفاق السوء صداقتهم زائفة ليست مبنية على حب حقيقي، أو رباط قوي، لذلك تنقلب صداقتهم إلى عداء يوم القيامة، فيلعن كل منهم صاحبه، فقد قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف :٦٧].

فعن علي رضي الله عنه قال[٣]: "خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفي أحد المؤمنين وبُشّر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إن فلاناً خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بطاعتك وينهاني عن الشر، ويُنبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيراً، ولبكيت قليلاً. قال ثم يموت الآخر فتجمع أرواحهما فيقال ليثن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحدٍ منهما لصاحبه نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

وإذا مات أحد الكافرين وبُشّر بالنار، ذكر خليله فيقول: اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت علي، قال فيموت

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٣١٧.

(٣) المرجع السابق، الجزء الرابع، ص ص ١٣٣: ١٣٤.

الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال ليثن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول كل واحدٍ منهما لصاحبه بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل".

ويشير إلى مدى تأثير الصديق في صديقه ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".(١)

وهي دعوةٌ واضحةٌ من رسول الله ﷺ إلى ضرورة اختيار الصديق الصالح الذي لا يدعو صاحبه إلا إلى الخير.

وأكد هذا المعنى أيضاً ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي".(٢)

وقد شبه رسول الله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير فقال ﷺ: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثةً".(٣)

وفي الحديث السابق إشارةٌ إلى أن الجليس الصالح نافعٌ لجليسه في كل الأمور، وأن الجليس السوء ضارٌ بجليسه في كل الأمور، مما يدل على ضرورة مصاحبة الصالحين، والبعد عن رفاق السوء.

وقد ذكر الإمام الغزالي في الرفاق ما يلي:(٤) "قال عيسى عليه السلام: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم، قالوا ياروح الله، فمن نجالس؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله.

وروي في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام، يا ابن عمران، كن يقظاناً، وارتد لنفسك إخواناً، وكل خدن وصاحبٍ لا يؤازرك على مرضي، فهو لك عدو. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، فقال: يا داود، ما لي أراك منبذاً وحيداً،

---

(١) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء السادس عشر، ص١٧.

(٤) الإمام/ الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، المجلد الثاني، الجزء الخامس، ص ١٤٥.

قال: إلهي قلت الخلق من أجلك. فقال يادارد كن يقظاناً وارتد لنفسك أخداناً، وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك عني".

ثانياً: أن يكون الحب بين الصديقين حباً في الله:

روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث يوضح بعضها ضرورة التحاب في الله، ويوضح بعضها الآخر منزلة المتحابين في الله عند الله تعالى، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

- قال رسول الله ﷺ "ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يُلقى في النار".(١)
- قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".(٢)
- قال رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء".(٣)

وتوسي الأحاديث السابقة أساساً هاماً من الأسس التي تقوم عليها الصداقة في الإسلام، وهو مبدأ الحب في الله، ومعنى هذا أن يحب الصديق صديقه حباً خالصاً بعيداً عن تحقيق المصالح، والنفعية، فالصديق الذي يحب صديقه طمعاً فيما عنده من منصب أو مال، أو لحاجةٍ له عنده، تستمر صداقته له باستمرار المنصب والمال، وقدرته على قضاء المصالح، فإذا فقد الرجل هذه الأشياء تخلى عنه صديقه، وتحول بصداقته إلى آخر ممن يتمتعون بالمال والسلطان.

أما الصديق الذي يحب صديقه في الله فلا يفرق بينهما عرضٌ من أعراض الدنيا، وحتى إن افترقا فسيفترقان على أمرٍ يرضي الله ورسوله، فقد قال رسول الله ﷺ: "سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..... ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا".(٤)

---

(١) الإمام/ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٩١.

(٢) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء السادس عشر، ص١٢٣.

(٣) الامام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥.

وإذا قامت الصداقة على هذا التحاب في الله فلا يمكن أن تكون منبعاً من منابع الجريمة في المجتمع، فالصديق الذي يحب صديقه في الله لن يدعوه إلى شر، أو إجرام، أو انحراف أبداً، لأنه يعلم أنه حتى يكمل إيمانه لابد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملا بقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".(١)

ثالثاً: ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفة سطحية:

إذا أراد الفرد أن يتخذ صديقاً أو خليلاً، فلابد أن يعرف معلومات كافية عن هذا الصديق، بحيث يطمئن إليه، ويعلم أخلاقياته وسلوكياته، ويتأكد تمام التأكد من أن هذا الصديق لن يدعوه إلى شر أبداً.

وقد قال رسول الله ﷺ: "إذا آخا الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممن هو؟ فإنه أوصل للمودة".(٢)

فلا ينبغي أن يتخذ الفرد رفيقاً أو صديقاً وهو يجهل عنه الشيء الكثير، ثم يكتشف أن هذا الصديق عضوٌ في عصابة ما، وأنه يحاول اجتذابه لمجال الانحراف والجريمة. وعلى الأسرة إذا كان الابن صغيراً أن تتولى هي مسئولية معرفة أصدقاء الابن؛ فعلى الأب والأم أن يسألا الطفل عن أصدقائه من هم، ثم يحاولا التعرف على حقيقة هؤلاء، حتى يطمئنا أن ابنهما بعيدٌ عن رفاق السوء.

رابعاً: قيام الصداقة على التناصح:

فعلى الصديق أن يقدم النصيحة لصديقه وأن يكون فيها مخلصاً لا يبغي إلا الخير، ودفع الشر عن صديقه، وقد أرسى رسول الله ﷺ مبدأ التناصح بقوله: "الدين النصيحة".(٣)

وعن جرير بن عبد الله قال: "بايعت رسول الله ﷺ على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم".(٤)

فعلى الصديق المسلم أن يقدم النصيحة والمشورة والرأي لصديقه، فإذا رأى صديقه مقدماً على أمرٍ حرمه الله، فعليه أن ينهاه عن ذلك، ويدعوه إلى البعد عن كل انحراف أو

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) الإمام/ مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٧.

(٤) الإمام/ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء العاشر، ص١٩٦.

إجرام، وأن يدله على الخير، وحسه في ذلك أن الدال على الخير كفاعله، فقد قال رسول الله ﷺ: "الدال على الخير كفاعله".(١) ولابد وأن يكون الصديق أميناً في مشورته فقد قال رسول الله ﷺ: "المستشار مؤتمن".(٢)

وقد حفَّز رسول الله ﷺ الناس على دعوة إخوانهم إلى الخير فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً" رواه مسلم (٣)

وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم لم يكن أحدٌ منهم ينهى أحداً عن ارتكاب الآثام والذنوب، فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة :٧٨-٧٩].

وقد قال رسول الله ﷺ: "لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره".(٤)

فالصديق المسلم يتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلاً لإبعاد صاحبه عن الانحراف والجريمة، وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما يلي:

- قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم" رواه الترمذي.(٥)
- قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".(٦)

خامساً: النهي عن الهجر والخصام:

نهى الإسلام عن الهجر والخصام، وعن التباغض والتشاحن، وذلك حتى لا يسود الشقاق والفرقة بين أفراد المجتمع المسلم. فالإسلام يريد رفاقاً ذوي قلوب صافية لا يكن أحدهم لأخيه غلاً ولا حقداً.

---

(١) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٤٧.

(٢) الإمام/ أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٣٣٣.

(٣) الإمام/ النووي، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٤) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٣٨.

(٥) الإمام/ النووي، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٦) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ص٢٤:٢٥.

وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث يدعو فيها إلى عدم التشاحن والتباغض والهجر والخصام، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

- قال رسول الله ﷺ: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث".(١)
- قال رسول الله ﷺ: لا يحل لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".(٢)
- قال رسول الله ﷺ: "تعرض أعمال الناس في كل جمعةٍ مرتين يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبدٍ مؤمنٍ إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا أو أركوا هذين حتى يفيئا".(٣)
- قال رسول الله ﷺ: "إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة".(٤)

وسوء ذات البين هنا هي العداوة والبغضاء، والحالقة أي التي تحلق الدين أي تذهب به أو تنقص منه.

ويتضح من الأحاديث السابقة مدى حرص الإسلام على إصلاح ذات البين، وتطهير القلوب من الأحقاد والضغائن، وإذا كان هذا التوجيه الإسلامي إلى المسلمين عامة فهو من باب أولى إلى الرفاق الذين تربط بينهم صداقات وعلاقات حميمة.

ولعل الحكمة من دعوة الإسلام هذه إلى نبذ التشاحن والخصام تكمن في أن الخصام يوغر الصدور، ويورث الحقد والكراهية، وكثير ما دفع الحقد والكراهية بعض الأصدقاء إلى الغدر بأصدقائهم، فمن الأصدقاء من يغتاب صديقه، ويذكر مساوئه أمام الآخرين، ومنهم من يشي به إلى رؤسائه في العمل، إلى غير ذلك من النتائج المترتبة على خصام الصديقين.

وإذا غدر الصديق يكون أعظم من خطر العدو، ذلك لأن الصديق يعلم عن صديقه ما لا يعلمه عدوه، ولعل هذا ما دفع الإسكندر الأكبر إلى القول: "اللهم قني شر أصدقائي، أما أعدائي فأنا كفيلٌ بهم".(٥)

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢) الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء (١٠)، ص ٥٠٧.

(٣) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٢٣.

(٤) الامام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٧٣.

(٥) د. عبد الغني عبود، الملامح العامة للمجتمع الإسلامي، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب التاسع، ط ١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٩ م)، ص ٩٢.

وإذا كان الشقاق بين الأصدقاء يترتب عليه شيوع الغيبة والنميمة والتشاحن والتباغض، بل وقد يصل الأمر إلى التشاجر والاقتتال، فقد أوضح رسول الله ﷺ السبيل إلى ذهاب الغل والشحناء بقوله: "تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء".(١)

وقال ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولا أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق".(٢)

ودعا ﷺ إلى قبول الاعتذار فقال: "من اعتذر إلى أخيه بمعذرةٍ، فلم يقبلها، كان عليه مثل خطيئة صاحب مكسٍ".(٣)

فعلى الصديق أن يغفر زلات صديقه متى اعتذر عنها حتى يعود الوفاق ويذهب الغل والحقد.

سادساً: التعاون على فعل الخير والبعد عما حرم الله:

يقول الله تعالى: ﴿..وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىَ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة :٢].

وقد جاء في تفسير هذه الآية ما يلي: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير الإثم ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان مجاوزة ما حد الله في دينكم، ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم".(٤)

وأمرُ الله عباده المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان يشمل المؤمنين جميعاً، وبالتالي فالرفاق والأصدقاء من المؤمنين مأمورون بالتعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات.

وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث تحض على التعاون، ومساندة المسلم لأخيه المسلم، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) الإمام/ مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار الكتاب المصري، ب ت)، ص ٩٠٨.

(٢) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٧٨.

(٣) الإمام/ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٢٢٥.

(٤) الإمام/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٦.

• قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".(١)

• قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(٢)

وتعاون الأصدقاء على الإثم والعدوان يؤدي إلى ظهور الجريمة المنظمة، التي تعتمد على اتفاق مجموعةٍ من الأفراد على ارتكاب الجرائم، والتخطيط لها تخطيطاً دقيقاً، ومن صور هذه الجرائم جريمة الحرابة والبغي، واختطاف الطائرات، ومافيا المخدرات، وشبكات الدعارة، والقرصنة البحرية... إلخ. لذلك دعا الإسلام الأصدقاء إلى التعاون على البر والتقوى حتى لا تظهر مثل هذه الجرائم في المجتمع.

• <u>الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:</u>(٣)

ذكر الإمام الغزالي عدة صفات تُعد شروطاً لاختيار الصاحب، ينقلها الباحث بنصها لما فيها من روعة الأسلوب وجزالة الألفاظ وذلك على النحو التالي:

<u>١- العقل:</u>

"أما العقل فهو رأس المال، وهو الأصل. فلا خير في صحبة الأحمق، فإن الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت...، كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري...، ولذلك قيل مقاطعة الأحمق قربانٌ إلى الله. وقال الثوري: النظر إلى وجه الأحمق خطيئةٌ مكتوبةٌ، ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه، إما بنفسه وإما إذا فُهِّم".

<u>٢- حسن الخُلق:</u>

"وأما حسن الخلق فلابد منه. إذ رُبَّ عاقلٍ يدرك الأشياء على ما هي عليه، ولكن إذا غلبه غضبٌ أوشهوةٌ، أو بخلٌ أو جبنٌ، أطاع هواه، وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته، وتقويم أخلاقه. فلا خير في صحبته...، وقد جمع "علقمة العطاردي" حسن الخلق في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة. قال: يا بني، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجةٌ فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنةٌ مانك. اصحب من

---

(١) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) الإمام/ الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، المجلد الثاني، الجزء الخامس، ص ص ١٦٣: ١٦٨.

إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنةً عدها، وإن رأى سيئةً سدها. اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلةٌ واساك، اصحب من إذا قلت صدَّق قولك، وإن حاولتما أمراً أمَّرك، وإن تنازعتما آثرك. فكأنما جمع بهذا جميع حقوق الصحبة".

٣- ألا يكون فاسقاً:

"وأما الفاسق المصر على الفسق، فلا فائدة في صحبته، لأنه من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض....، ومشاهدة الفساق والفساق تهون أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها. قال "سعيد بن المسيب": لا تنظروا إلى الظلمة لتحبط أعمالكم الصالحة. بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم، وإنما السلامة في الانقطاع عنهم".

٤- ألا يكون مبتدعاً:

"وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة، وتعدي شؤمها إليه. فالمبتدع مستحقٌ للهجر والمقاطعة، فكيف تؤثر صحبته! وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق، فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينةٌ في الرخاء، وعدةٌ في البلاء. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى".

٥- ألا يكون حريصاً على الدنيا:

"أما الحريص على الدنيا فصحبته سمٌ قاتلٌ. لأن الطباع مجبولةٌ على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ترهد في الدنيا. فلذلك تُكره صحبة طلاب الدنيا، ويُستحب صحبة الراغبين في الآخرة....، وقال لقمان يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر".

وإذا توفرت هذه الصفات في رجلٍ، فليس من المعقول أن يدعو هذا الرجل إلى جريمةٍ أو انحراف سلوكي بل لابد وأن يكون عوناً لمن يصاحب على طاعة الله، والبعد عما حرم الله تعالى.

وأخيراً يمكن القول إنه إذا كان الهدف هو:

قيام جماعة الرفاق بدورٍ إسلامي في مجال الوقاية من الجريمة.

فإن السبيل إلى تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع هو الاعتماد على الوسائل الإسلامية الآتية

١) البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين.

٢) أن يكون الحب بين الصديقين حباً في الله.

٣) ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفةً سطحيةً.

٤) قيام الصداقة على التناصح.

٥) النهي عن الهجر والخصام.

٦) التعاون على فعل الخير والبعد عما حرم الله.